

خطاب العقيدة وأثره في التحصيل العلمي

د. علي عدلاوي - جامعة الأغواط - الجزائر

ملخص:

أولى الإسلام الحنيف أهمية بالغة للعلم ، من حيث الطلب ومن حيث النشر، كما رتب الجزاء الحسن في الدنيا والآخرة على ذلك، وجعل العلماء في المرتبة التي تلي مرتبة الأنبياء، ولذلك فهو يدعو بإلحاح لطلب العلم والاستزادة منه، وتبليغه للناس.

Abstract

First orthodox Islam great importance to science, in terms of demand and in terms of publishing, as the perfect penalty arranged in this world and the hereafter on it, make the scientists in place following the rank of prophets, and therefore calls urgently to seek knowledge and seeking more of it, and communicated to the people.

الإنسان مجبول بفطرته على طلب الحقيقة، والاطلاع على الكوامن والأسرار المبتوثة في الأنفس والآفاق، ولذلك لا يزال يلاحظ ويسأل ويتساءل حتى يصل إلى معرفة الأسباب وبلوغ النتائج المترتبة عليها.

هكذا حال الإنسان في بداياته الأولى، أما اليوم فقد تيسرت وسائل المعرفة، وضبطت لها القوانين، وأعدت لها المدارس والمعاهد والجامعات، وهيئت لها المكتبات ووسائل التكنولوجيا الحديثة، إضافة إلى المشرفين والمدرسين..

ومع كل ما ذكرناه من سبل التحصيل العلمي والدراسي الناجح، إلا أننا نسجل عزوفا مهولا عن الاجتهاد في المطالعة والبحث، حتى زعم البعض بأن وسائل التكنولوجيا ووسائل الراحة كانت وراء ذلك العزوف؟

وعليه صار من الضروري ربط التحصيل العلمي بالضوابط الشرعية، التي (تفرض) طلب العلم، و(ترتب) عليه الأجر الجزيل، والثواب العظيم في الدنيا والآخرة.

إن الطالب والباحث لما (يعتقدان) و (يوقنان) بأن طلب العلم وتحصيله "عبادة يؤجر عليها"، سيكون ذلك دافعا له للمزيد من الاجتهاد والمثابرة.

ومن هنا كان دافعنا لكتابة هذا المقال المتواضع هو المساهمة في تنشيط النفس، وحث الروح، وتحريك البدن للسعي الحثيث نحو الاجتهاد والجد، وقديما كان الأولياء والمعلمون يقرعون آذاننا بالحكمة الذهبية: "من جد وجد، ومن زرع حصد"، ونحن هنا نضيف إليها حشدا من النصوص الشريفة والآثار الفريدة التي تخدم موضوع المقال، والله المستعان.

1/ فضل طلب العلم:

إن أول ما نزل من القرآن الكريم دعوة صريحة إلى طلب العلم، باستعمال وسائله: القراءة والكتابة بالقلم، قال تعالى: {اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ} ¹.

وفي السورة التي نزلت بعد العلق - وهي سورة القلم "ن" - تكرر التأكيد على طلب العلم باستعمال وسيلته، وهي الكتابة بالقلم، فقال تعالى: { ن وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ } ². ولما كان ذلك في أول الوحي، دل على أن الأساس الحضاري للإسلام هو العلم.

ثم تتوالى النصوص الشريفة من القرآن والسنة حاثّة ومؤكدة بل وموجبة لطلب العلم منها:

- قوله تعالى: {قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ} ³.

- وقوله تعالى: {وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا} ⁴.

- وقوله تعالى: {يَرْفَعُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ} ⁵.

- وعن معاوية رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (من يرد الله به خيرا يفقهه في الدين)⁶.

- بل إن المرء لا ينقطع عمله بموته، إذا ترك للناس علما ينتفعونه به، فسيظل "عداد" حسناته شغالا، مصداقا لما ورد عن أبي هريرة رضي الله عنه قال صلى الله عليه وسلم: (إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث: صدقة جارية، أو علم ينتفع به، أو ولد صالح يدعو له)⁷.

- بل يعد طالب العلم مجاهدا، فخروجه إلى علم يحصله، وحكمة ينالها ضرب من ضروب الجهاد الشريف، فعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (من خرج في طلب العلم فهو في سبيل الله حتى يرجع)⁸.

- وإن الملائكة الأعلى من الملائكة عليهم السلام وكل المخلوقات يشاركون طلبه العلم في الحضور والدعاء لهم، فعن أبي أمامة الباهلي رضي الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (إن الله وملائكته وأهل السموات والأرضين حتى النملة في جحرها وحتى الحوت ليصلون على معلم الناس الخير)⁹.

- ولا أدل على عظمة العلم من أنه أفضل من العبادة والذكر، كفضل الرسول صلى الله عليه وسلم على أدنى مسلم، قال صلى الله عليه وسلم: (فضل العالم على العابد كفضلي على أدناكم)¹⁰. وقوله صلى الله عليه وسلم عن ابن عباس رضي الله عنهما: (فقيه واحد أشد على الشيطان من ألف عابد)¹¹.

- ومن أعظم ممن (ورث) النبوة بالعلم؟ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (إن العلماء ورثة الأنبياء إن الأنبياء لم يورثوا دينارا ولا درهما وأورثوا العلم فمن أخذه أخذ بحظ وافر)¹².

والحق أن النصوص الكريمة من الوحيين الشريفين في هذا المضمار أكثر من أن تحصى، ولا يسعها المقام، دلالة على تقديس العلم والعلماء في ديننا الحنيف.

وهاهم تلاميذ الرسول صلى الله عليه وسلم، وهم الصحابة الكرام عليهم الرضوان يشيدون بالعلم والعلماء:

- قال علي كرم الله وجهه ورضي عنه: "كفى بالعم شرفاً أن يدعيه من لا يحسنه، ويفرح إذا نسب إليه، وكفى بالجهل ذماً أن يتبرأ منه من هو فيه" ¹³.

- ويعدد الصحابي الجليل معاذ بن جبل رضي الله عنه مزايا العلم- حيث أنه حاز كل الفضائل-، فيقول: "تعلموا العلم فإن تعلمه لله خشية، وطلبه عبادة، ومذاكرته تسبيح، والبحث عنه جهاد، وتعليمه من لا يعلمه صدقة، وبذله لأهله قربة" ¹⁴.

وهاهم تلاميذ الصحابة من التابعين رضي الله عنهم، يحفظون عهد "تقديس العلم":

- فيقول أبو مسلم الخولاني رضي الله عنه: "مثل العلماء في الأرض مثل النجوم في السماء، إذا بدت للناس اهتدوا بها، وإذا خفيت عليهم تحيروا" ¹⁵.

- ويذكر وهب بن منبه رضي الله عنه مناقب العلماء، وإن كانت مكانتهم الاجتماعية في الحضيض، فيقول: "يتشعب من العلم الشرف وإن كان صاحبه دينئاً، والعز وغن كان مهيناً، والقرب وإن كان قصياً، والغنى وإن كان فقيراً، والنبل وإن كان حقيراً، والمهابة وإن كان وضيعاً، والسلامة وإن كان سفيهاً" ¹⁶.

ومما جاء - من الحكم والأمثال السائرة - في تقرير العلم والعلماء:

- العالم كالعين العذبة نفعها دائم.

- العالم كالسراج من مر به اقتبس.

- العلم يجرسك وأنت تحرس المال.

ومما أجمله الشافعي من فضائل العلم والعلماء هذه الأقوال البليغة: " طلب العلم أفضل من صلاة النافلة. ليس بعد الفرائض أفضل من طلب العلم. من أراد الدنيا فعليه بالعلم، ومن أراد الآخرة فعليه بالعلم. من لا يحب العلم فلا خير فيه، فلا يكن بينك وبينه صداقة. إن لم يكن الفقهاء العاملون أولياء الله فليس لله ولي. ما أحد أروع لخالقه من الفقهاء. من تعلم القرآن عظمت قيمته، ومن نظر في الفقه نبه قدره. ومن نظر في اللغة رق طبعه. ومن نظر في الحساب جزل رأيه. ومن كتب الحديث قويت حجته. ومن لم يصن نفسه لم ينفعه علمه" ¹⁷.

والجدير بالذكر هاهنا أن العلم المقصود هو كل علم نافع، سواء تعلق بالعلوم الدينية أو الدنيوية، والدليل ما ذكره تعالى - تعليقاً وتذييلاً - على علم النبات والجبال والبيولوجيا "إنسان - حيوان": { أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ ثَمَرَاتٍ مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهَا وَمِنَ الْجِبَالِ جُدَدٌ بَيَضٌ وَحُمْرٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٌ * وَمِنَ النَّاسِ وَالدَّوَابِّ الْأَنْعَامِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ كَذَلِكَ إِمَّا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ } ¹⁸.

2/ نماذج من هدي العلماء في طلب العلم:

حفظ لنا التاريخ الإسلامي نماذج رائعة ورائعة عن علماء وطلبة للعلم، انقطعوا للعلم، واجتهدوا في تحصيل الدروس بصدق وإخلاص، يحدوهم في ذلك تلك النصوص سائلة الذكر، والتي تمجد العلم وأهله، ومما يذكر في هذا الشأن، ما أورده سيد سابق في كتابه (فقه السنة): أن تلميذا سأل شيخه بقوله: يا شيخنا لقد حدثنا عن الجنة وزعمت أن فيها كل ما يتمناه المرء، فقال الشيخ أي بلى والله، فقال التلميذ: وهل في الجنة حلق العلم؟ فقال الشيخ: أي نعم، فقال التلميذ المخلص والمحِب للعلم: والله لو قلت لي ليس في الجنة حلق الذكر والعلم لقلت لك: لا خير في الجنة..

وصدق، فإن اللذة الحقة والمتعة الكاملة في الروح وليس في الجسد.

ومن تمثل ونستشهد بهم في هذا المضمار:

- العلامة محمد بن جرير الطبري صاحب التفسير، فقد حفظ -رحمه الله- القرآن الكريم وهو ابن سبع سنين، وكتب الحديث وعمره تسع سنين، ورحل في طلب العلم وعمره اثنتا عشرة سنة، وطاف في بلاد الإسلام لتلقي العلم، ولقاء المشائخ، فجال بلاد خراسان والعراق والشام ومصر، قادما إليها من مسقط رأسه طبرستان. وفي مقتبل عمره انتصب للإمامة والفتيا في علوم شتى، وشهد له بذلك كبار علماء عصره¹⁹.

قال لأصحابه يوما ما: أنتشطون لتفسير القرآن الكريم؟ قالوا كم يكون قدره؟ قال: ثلاثون ألف ورقة، فقالوا: هذا مما تفنى الأعمار قبل تمامه، فاختره في نحو ثلاثة آلاف ورقة، وأمله في سبع سنين²⁰.

وقال: جاءني يوما رجل، فسألني عن شيء من العروض - ولم أكن نشطت له قبل ذلك -، فقلت له: علي قول أن لا أتكلم اليوم في شيء من العروض، فإذا كان في غد فصر إلي، وطلبت من صديق لي "العروض" للخليل بن أحمد، فجاء به، فنظرت فيه ليلتي، فأمسيت غير عروضي، وأصبحت عروضا. وقد مسه من الجوع والفاقة أثناء تطوافه في البلدان لطلب العلم، حتى مزق كمي قميصه فباعهما ليقنات من ثمنهما²¹.

- العالمة المحدثة الفاضلة كريمة المروزية الملقبة بأُم الكرام، والمولودة بمرور سنة 365هـ، روت صحيح البخاري، وتخرج على أيديها كثير من العلماء، منهم الخطيب البغدادي والسمعاني، وآثرت العنوسة انقطاعا للعلم، وزهدا في الدنيا، وكانت تضبط كتبها، وتقابل بين النسخ، ولها فهم ونباهة، وفاق المائة سنة، وسمع منها خلق كثير²².

- وكانوا يصبرون على طلب العلم ويسيحون من أجله، قيل للشعبي: من أين لك هذا العلم كله؟ فقال: بنفي الاعتماد، والسير في البلاد، وصبر كصبر الحمار، وبكور كبكور الغراب.

- قال عبد الله بن زيد أحد أعلام البصرة: أقمت في المدينة ثلاثة أيام، مالي بها حاجة إلا قدوم رجل بلغني عنه الحديث، فبلغني أنه يقدم، فأقمت حتى قدم فحدثني به²³.

- وهما هو إمام البلاغة محمود بن عمر الخوارزمي الزمخشري تقطع رجله من شدة البرد، وهو في رحلة طلب العلم، وقد كانت بلاد خوارزم شديدة البرد، كثيرة الثلوج، ومن ورعه أنه أشهد الكثير على سبب قطعها، لئلا يظن ظان أنها قطعت في حد من الحدود الشرعية²⁴.

- وعن براعة الحكيم ابن سينا وحكاية تفوقه في العلم وهو بعد طفل صغير، يقول القاضي ابن خلكان في كتابه وفيات الأعيان: "ولما بلغ عشر سنين من عمره، كان قد أتقن القرآن العزيز والأدب، وحفظ أشياء من أصول الدين والحساب والجبر والمقابلة، ثم أحكم علم المنطق وإقليدس والجسطي، وفاق شيخه (الحكيم أبا عبد الله الناطلي) أضعافاً كثيرة، وكان مع ذلك يختلف في الفقه إلى إسماعيل الزاهد، واشتغل بتحصيل العلوم كالطبيعي والإلهي، وفتح الله عليه أبواب العلوم.. ثم رغب بعد ذلك في علوم الطب.. حتى فاق فيه الأوائل والأواخر في أقل مدة.. وسنه إذ ذاك نحو ست عشرة سنة.. وكان إذا أشكلت عليه مسألة توضأ وقصد المسجد الجامع، وصلى ودعا الله عز وجل أن يسهلها عليه ويفتح مغلقها له.. وصنف ما يقارب مائة مصنف في فنون شتى²⁵.

- وجاء في معجم الأدباء لياقوت الحموي في ترجمة العلامة الفلكي الرياضي، المؤرخ اللغوي الأديب، الجامع لأشتات العلوم أبي الريحان البيروني (محمد بن أحمد الخوارزمي) رحمه الله: "لا يكاد يفارق يده القلم، وعينه النظر، وقلبه الفكر، إلا فيما تمس إليه الحاجة في المعاش، من بلغة الطعام.. حدث أحد الفقهاء عنه فقال: دخلت على أبي الريحان- وهو يجود بنفسه- فقال لي في تلك الحال: كيف قلت لي يوماً: حساب الجدات الفاسدة- أي في الميراث، وهي التي تكون من قبل الأم-". فانظر إلى حرص الرجل على طلب العلم، وهو في آخر ساعات الدنيا²⁶.

وبعد عرض الدكتور عبد الفتاح أبي غدة لعشرات النماذج من العلماء الذين أفنوا حياتهم في طلب العلم، وصبروا على لأوائه، يقول-معلقاً وحاتاً على التأسّي بهم-: "شهدنا في هذه

الصفحات هذا العناء الطويل العريض المديد، الذي كان عليه آباؤنا في تحصيل العلم ونشره، واليوم قد هبّت للدارس سبل الراحة، بل سبل الرفاهية في كل شأن من شؤون العلم والحياة، فهو يدرس-الآن- في أمكنة الدراسة المريحة، ذات الأجواء المكيفة، والأنوار الوضاء، والهواء البارد الناعم البليل صيفاً، والدافئ المريح شتاءً، وتقدم له الكتب المطبوعة المخدومة بالعناية والإخراج الجميل،... وتيسرت-الآن- للدارس الراحل عن بلده أسباب السفر ووسائله، ..

فهو يتمكن من قطع مسافة الشهر والشهرين قديماً في يوم واحد،... في حين أن سلفه كان يلاقي في ذلك الشدائد والأهوال، ويمشي الليالي الطوال، ليحصل على حديث واحد، أو كتاب يراه أو ينسخ منه، أو مسألة علمية يتلقاها من عالم جليل، ..

والدارس-الآن- يسمع صوت العالم المرموق في داخل بيته، ويشهد فيه صورته إلى جانب صوته، ولا يعجز عن الوصول إلى كتاب مطبوع تملكاً، أو مخطوط -تصويراً- من المكتبات العامة القريبة أو البعيدة، وهو جالس في بيته، متكئ على أريكته، يصور الكتاب الذي كان يكتبه سلفه في شهر، بنصف ساعة، فإذا هو لديه كالأصل لا نقص ولا زيادة ولا تصحيف ولا تحريف²⁷.

3/ خطوات عملية للتحصيل العلمي الناجح "في ضوء العقيدة":

الناظر في كتاب الله تعالى يجد أنه في العشرات من الآيات الكريمة يقرن الإيمان والعمل، وبصيغ عديدة، فأحياناً يقدم الإيمان على العمل، وأحياناً يقدم العمل على الإيمان، وبصيغتي الماضي والمضارع معاً، للتأكيد على ضرورة أن يقتزن العمل بالإيمان.

ومن ذلك قوله تعالى: { مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ }²⁸. وقوله تعالى: { وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا يَخَافُ ظُلْمًا وَلَا هَضْمًا }²⁹. ومنها قوله جل وعلا: { إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّاتُ الْفِرْدَوْسِ نُزُلًا }³⁰.

وقال عز وجل: {وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ وَيَعْمَلْ صَالِحًا يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ وَيُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ} ³¹.. وغيرها من النصوص الكريمة، ولا شك أن أعظم الأعمال وأشقها وأقدسها هو عمل العقل، ولا يكون له اعتبار عند الله تعالى ما لم يقتزن بالعقيدة، وهو وجوب أن يكون باسم الله تعالى ولوجهه الكريم. لا سمعة ورياء ولا طلبا لجاه ولا استعلاء به على خلق الله تعالى، بل الرغبة به لوجهه تعالى، وابتغاء الدار الآخرة، ونفع الخلق به.

فالإخلاص لله تعالى وصدق النية هو أول الخطوات الناجحة في التحصيل العلمي الناجع والناجح، قال تعالى: {وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ} ³². وقال رسوله الكريم صلى الله عليه وسلم في الحديث المشهور: (إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرئ ما نوى..). ³³

ومن نواذر قصص الإخلاص ما ورد عن الماوردي أبي الحسن علي بن محمد بن حبيب شيخ الشافعية، فإنه لما حضرته الوفاة قال لمن يثق به: يا فلان الكتب التي في المكان الفلاني كلها تصنيفي وإنما لم أظهرها، لأني لم أجد نية خالصة ³⁴.

*ويعد الإتيان والإحسان من أهم الخطوات في ذلك، فالقراءة الواعية البصيرة، والمذاكرة الجيدة باختيار الأوقات المناسبة (بعد الفجر خاصة)، ومداومة الحفظ، والتركيز، ومتابعة الدروس... وغيرها، كل ذلك يؤدي معنى الإتيان الذي وردت النصوص الشريفة من الكتاب والسنة بشأنه، ومنها قوله تعالى: {وَأِنْ تُحْسِنُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا} ³⁵.

والملاحظ في الآية الكريمة اقتران العقيدة (التقوى) بالإحسان، فلا يكفي الإتيان، ما لم يقتزن بالإيمان، ولذلك لا ينفع الكفار عملهم الحسن في الآخرة، وإن استوجبوا عليه الشكر والثناء في الدنيا. وقد جاء الإتيان - بمعنى الإصلاح أيضا - مقرونا بالتقوى في قوله تعالى: {وَأِنْ تُصْلِحُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا} ³⁶. وفي السنة الشريفة حث على الإتيان: (إن الله يحب إذا عمل أحدكم عملا أن يتقنه) ³⁷.

*الصبر على مرارة ومشقة الطلب، فإنه مع طول الزمن تصير له لذة لا يشعر بها إلا أولوا

الهمم العالية، وهو الجزاء الذي رتبته الله تعالى للصابرين في الدنيا والآخرة: {إِنَّمَا يُؤْتِي الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ} ³⁸.

وهل هناك أعظم من لذة الروح، ونعيم القلب، وسعادة الفؤاد، وراحة العقل؟

*التبكير، حيث يكون العقل خالياً، والنفس نشطة، والبدن مرتاحاً، بشرط أن يكون قد نام طالبا لعلم قبل منتصف الليل، فإن السهر بعد هذا الزمن لا جدوى منه، ويكون فيه العقل والبدن معا قد استهلكا جل طاقتهم، كما ينصح بالقيولة لفترة قصيرة، فإنها أيضا مما تنشط للعمل الفكري والبدني معا.

ولعل (رزق) العلم من الأرزاق التي عناها رسول الإسلام، وهو ينصح ابنته فاطمة رضي الله عنها بالتبكير لعمل اليوم: (عن فاطمة بنت محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قالت رضي الله عنها: مر بي رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنا مضطجعة متصبحة فحركني برجله ثم قال صلى الله عليه وسلم " :قومي اشهدي رزق ربك ولا تكوني من الغافلين ، فإن الله يقسم أرزاق الناس ما بين طلوع الفجر إلى طلوع الشمس) ³⁹.

*التواضع وخفض الجناح للأساتذة والطلبة معا، وقد وعد رسول الله صلى الله عليه وسلم برفع منزلة المتواضعين، وطرح البركة في أعمالهم وأقوالهم وتفكيرهم: (وما تواضع أحد لله إلا رفعه الله) ⁴⁰. فصاحب التواضع يمكنه الاستفادة من الصغير والكبير، والمتعلم والأمي، والشيخ والتلميذ، وصدق من قال: يوج في النهر ما يوج في البحر، أما المتكبر المستغني فيفوته من العلم الكثير مع اكتساب الإثم.

*رجاء الثواب والأجر من الله تعالى، حيث أن ذلك مما يحفز ويشجع على الطلب والتحصيل ولو كان شاقاً، ولا غرو أن التحفيز مما يدفع بالنفس إلى الجد والاجتهاد والمنافسة، وقد رأينا الكثير من صغار السن وكبارهم يحفظون القرآن الكريم في وقت وجيز في مقابل انتظارهم

للمكافأة الجزيلة، التي يكون من بينها الحج أو العمرة، فما بالك إذا كانت الدرجات العلا من الجنة لأهل العلم، وقد أبعد سيدنا معاذ بن جبل رضي الله عنه النجعة، وأبلغ في ترغيبه في طلب العلم بقوله الكريم: " تعلموا العلم فإن تعلمه لله تعالى خشية، وطلبه عبادة، ومذاكرته تسبيح، والبحث عنه جهاد، وتعليمه لمن لا يعلم صدقة، وبذله لأهله قربة، لأنه معلم الحلال والحرام ومنار أهل الجنة، والأنس في الوحشة والصاحب في الغربة والمحدث في الخلوة، والدليل على السراء والضراء، والسلاح على الأعداء، والدين عند الأجلاء، يرفع الله تعالى به أقواما ويجعلهم في الخير قادة وأئمة، تقتبس آثارهم، ويقتدى بفعالهم، وينتهي إلى رأيهم. ترغب الملائكة في خلقتهم، وبأجنتها تمسحهم، يستغفر لهم كل رطب ويابس، حتى الحيتان في البحر وهوامه وسباع الطير وأنعامه؛ لأن العلم حياة القلوب من الجهل، ومصباح الأبصار من الظلم، يبلغ بالعلم منازل الأخيار والدرجة العليا في الدنيا والآخرة، والتفكر فيه يعدل بالصيام ومدارسته بالقيام، به توصل الأرحام ويعرف الحلال من الحرام، إمام العمال والعمل تابعه. يلهمه السعداء ويحرمه الأشقياء" ⁴¹.

ولا ريب أن طالب العلم يستفيد-خلال بحثه- من كثير من الأساليب والوسائل التي تعينه على التحصيل الجاد والمفيد، والحقيقة بنت البحث كما يقال.

خاتمة:

تعتمد كثير من مراكز التعليم ومؤسساته على إيجاد السبل المشجعة على طلب العلم، في زمن كثرت فيه الملهيّات والفنّ، ومن ذلك عامل التحفيز بترتيب الأجور والجوائز المرصودة لكل طالب ناجح، أو باحث جاد، ولا شك أنه عامل مطلوب ومفيد، ولكنه من خارج النفس، أما العقيدة فهي عامل داخلي قوي، تجعل صاحبها لا يطلب العلم فقط من أجل الثواب الدنيوي، بل تدفعه دفعا للمنافسة الشريفة، والصبر والاجتهاد، لأن الأجر المرجو هو نيل رضى الله تعالى والفوز بالجنة، ولا غرو فقد كانت هذه العقيدة وراء بذل الأنفس والأرواح في سبيل الله في ميادين الجهاد البدني، وهي أنجح أيضا في ميدان الجهاد العقلي والفكري.

الهوامش:

- 1/ سورة العلق: 01-05، ينظر تفسير الآيات الأولى من سورتي القلم والعلق في كتاب مختصر تفسير ابن كثير، محمد علي الصابوني، شركة الشهاب، باتنة، 1990م، ج3، ص532، ص656-657.
- 2/ سورة القلم: 01.
- 3/ الزمر: 09.
- 4/ طه: 114.
- 5/ المجادلة: 11.
- 6/ صحيح البخاري، دار ابن كثير، دمشق، سوريا، 1993م، الجزء الأول، (كتاب الإيمان).
- 7/ شرح السيوطي لسنن النسائي، دار البشائر الإسلامية، بيروت، لبنان، 1986م، (مسألة- فصل الصدقة على الميت)، رقم 3651.
- 8/ موعظة المؤمنين من إحياء علوم الدين، محمد جمال الدين القاسمي، دار الكتب العلمية، بيروت، 1995م، (كتاب آداب السفر)، ص154.
- 9/ رواه الترمذي وقال: حديث حسن صحيح غريب، (كتاب العلم)، رقم 2658.
- 10/ رواه الترمذي عن أبي أمامة الباهلي رضي الله عنه، وقال: حديث حسن صحيح غريب. وفي جملة: (كفضلي على أدناكم) مبالغة لا تخفى، فإنه لو قال: كفضلي على أعلاكم لكفى فضلا وشرفا، ينظر: مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، علي بن سلطان محمد القاري، دار الفكر، بيروت، 2002، كتاب العلم، المسألة 213.
- 11/ المجموع شرح المذهب، الإمام النووي، مطبعة المنيرية، دمشق، (د.ط)، (د.ت)، ص43.
- 12/ تحفة الأحوذى، محمد بن عبد الرحمن بن عبد الرحيم المباركفوري، دار الكتب العلمية، بيروت، رقم 2682.
- 13/ آداب العالم والمتعلم، مقدمة المجموع للنووي، مكتبة الصحابة، طنطا، مصر، ط1، 1987م، ص13.
- 14/ نفسه، ص13-14.
- 15/ آداب العالم والمتعلم، ص14.
- 16/ نفسه، ص14.

- 17/ نفسه، ص 14-15.
- 18/ سورة فاطر: 28.
- 19/ العلماء العزّاب الذين آثروا العلم على الزواج، عبد الفتاح أبو غدة، مكتبة المطبوعات الجامعية، بيروت، لبنان، ط1، 1982م، ص. 37.
- 20/ نفسه، ص. 38.
- 21/ نفسه، ص. 41.
- 22/ العلماء العزّاب، ص 127.
- 23/ صفحات من صبر العلماء على شدائد العلم والتحصيل، عبد الفتاح أبو غدة، دار البشائر الإسلامية، بيروت، لبنان، ط10، 2012م، ص. 51.
- 24/ نفسه، ص. 75.
- 25/ صفحات من صبر العلماء، ص. 131.
- 26/ نفسه، ص. 132.
- 27/ صفحات من صبر العلماء، ص 392-393.
- 28/ سورة النحل: 97.
- 29/ سورة طه: 112.
- 30/ سورة الكهف: 107.
- 31/ سورة التغابن: 09.
- 32/ سورة البينة: 05.
- 33/ متفق عليه من حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه، إحصاء الأحكام، شرح عمدة الأحكام، دار الجيل، بيروت، 1995م، (كتاب الطهارة)، ص 61.
- 34/ صلاح الأمة في علو الهمة، د. سيد بن حسين العفاني، مؤسسة الرسالة، لبنان، ط1، 1997م، ص. 122.
- 35/ سورة النساء: 122.
- 36/ سورة النساء: 129.

37/ أخرجه أبو يعلى عن عائشة رضي الله عنها، وقد صححه الألباني في الصحيحة نظرا لشواهده، ينظر مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، نور الدين علي بن أبي بكر الهيثمي، مكتبة القدسي، القاهرة، 1994م، (كتاب البيوع)، رقم 6460.

38/ سورة الزمر: 10.

39/ تحفة الأحوذى، (كتاب البيوع-باب ما جاء في التبكير بالتجارة)، رقم 1212.

40/ رواه الإمام محمد بن حبان في روضة العقلاء ونزهة الفضلاء، تحقيق محمد حامد الفقي، مكتبة السنة المحمدية، القاهرة، 1954م، رقم 32.

41/ حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، الحافظ أبو نعيم الأصبهاني، دار الفكر، لبنان، (د.ت)، (د.ط)، ص 239.
